

قصة أصحاب الأخدود

عناصر الخطبة

نص القصة التعريف براوي القصة

ذكر القرآن لسياق القصة ذكر بعض الفوائد والعبر منها

التفصيل

نص القصة ومعاني بعض الكلمات

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن صُهَيْبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: " كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلَمُهُ السِّحْرَ، فَابْعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَفَعَدَّ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرًّا بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَّ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَيَبِينَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجْرًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَفَقَّتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيُّ بُنْيٍّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ

يُبْرِئُ الْكُفْمَةَ (٢١٦) وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِلَّا مَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللهُ فَشَفَاكَ، فَمَنْ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى الْمَلِكُ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيُّ بَنِي قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْكُفْمَةَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِلَّا مَا يَشْفِي اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَن دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِثْشَارِ (٢١٧)، فَوَضَعَ الْمِثْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ، فَشَفَّهُ حَتَّى وَقَعَ شَقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَن دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِثْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ، فَشَفَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شَقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَن دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَن دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَارْجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْفُورٍ (٢١٨)، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَن دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْدِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمْرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ (٢١٩) وَاحِدٍ، وَتَصَلُّبُنِي عَلَى جِدْعٍ، ثُمَّ خَذُ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ

الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِدْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ (٢٥١)، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأَتَى الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذْرُكَ (٢٥٢)، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأَخْذُودِ (٢٥٣) فِي أَفْوَاهِ السِّكَاكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النَّيْرَانَ (٢٥٤)، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَن دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمُوا، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّةَ اصْبِرِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ. (٢٥٥)

التعريف براوي القصة

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ: صُهِيبُ بْنُ سِنَانَ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَبْدِ عَمْرِو بْنِ عَقِيلِ بْنِ عَامِرٍ، أَبُو يَحْيَى - وَيُقَالُ أَبُو غَسَّانَ - النَّمِرِيُّ، الرَّؤْمِيُّ، الْبَدْرِيُّ، الْمُهَاجِرِيُّ، وَكَانَ رَجُلًا أَحْمَرَ، شَدِيدَ الْحُمْرَةِ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ. كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - من السابقين الأولين في الإسلام يقول عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، قَالَ : كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةً : رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَأَبُو بَكْرٍ ، وَعَمَّارٌ ، وَأُمَّهُ سُمَيَّةُ ، وَصُهِيبٌ ، وَبِلَالٌ ، وَالْمِقْدَادُ ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَمَنْعَهُ اللَّهُ بِعَمَّةِ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنْعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِيهِ ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ ، وَالْأَبْسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدَّ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا ، إِلَّا

بِلَالًا ، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ ، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ ، وَهُوَ يَقُولُ أَحَدًا أَحَدًا. (٢١٠)

وَكَانَ مَوْصُوفًا بِالكَرَمِ وَالسَّمَّاحَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.

فَعَنْ حَمْرَةَ بْنِ صُهَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ عُمَرُ لِصُهَيْبٍ : أَيُّ رَجُلٍ أَنْتَ ، لَوْلَا خِصَالُ ثَلَاثٍ فِيكَ ! ، قَالَ : وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : اكَتَبْتِ وَلَيْسَ لَكَ وَلَدٌ ، وَأَنْتَمَيْتِ إِلَى الْعَرَبِ وَأَنْتَ مِنَ الرُّومِ ! وَفِيكَ سَرَفٌ فِي الطَّعَامِ . قَالَ : فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَنَانِي أَبَا يَحْيَى ، وَأَنَا مِنَ النَّمْرِ بْنِ قَاسِطٍ ، سَبَيْتِي الرُّومُ مِنَ الْمَوْصِلِ بَعْدَ إِذْ أَنَا غُلَامٌ قَدْ عَرَفْتُ نَسَبِي ، وَأَمَّا قَوْلُكَ فِي سَرَفِ الطَّعَامِ : فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ

اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : (خَيْرُكُمْ مَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ). (٢١١)

وَعَنْ أَبِي عُمَانَ . أَنَّ صُهَيْبًا حِينَ أَرَادَ الْهَجْرَةَ فَقَالَ لَهُ كِفَارُ فُرَيْشٍ : أَتَيْتَنَا صُعْلُوكًا حَقِيرًا ، ثُمَّ أَصَبْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا الْمَالَ ، وَبَلَغْتَ الَّذِي بَلَغْتَ ، ثُمَّ تُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ أَنْتَ وَمَالُكَ ؟ وَاللَّهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ قَالَ : فَقَالَ صُهَيْبٌ أَرَأَيْتَ ، إِنْ جَعَلْتُ لَكُمْ مَالِي أَمْخُلُونَ أَنْتُمْ سَبِيلِي ؟ قَالَ : قَالُوا : نَعَمْ ، فَخَلَعَ لَهُمْ مَالَهُ قَالَ : فَبَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : (رِيحَ صُهَيْبٍ رِيحَ صُهَيْبٍ). (٢١٢)

وَكَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لَهُ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَعَنْ عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو ، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ ، أَتَى عَلَى سَلْمَانَ ، وَصُهَيْبٍ ، وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ ، فَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا أَخَذْتَ سَيْوْفُ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ

الله مَأْخَذَهَا، قَالَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: (يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ) فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهُ أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أَخِي. (١٣٧)

وَلَمَّا طَعِنَ عُمَرُ، اسْتَنَابَهُ عَلَى الصَّلَاةِ بِالْمُسْلِمِينَ إِلَى أَنْ يَنْفِقَ أَهْلَ الشُّورَى عَلَى إِمَامٍ.

مَاتَ: بِالْمَدِينَةِ، فِي شَوَّالٍ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ، وَكَانَ مِمَّنِ اعْتَزَلَ الْفِتْنَةَ، وَأَقْبَلَ عَلَى شَأْنِهِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. - (١٤٦)

ذكر القرآن لسياق القصة

قال تعالى: (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدِ وَمَشْهُودِ (٣) قَتَلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ نَمَّ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ {

قال ابن كثير: {قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ} أَي: لَعْنُ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ، وَأُطْلِقَ عَلَيْهِمُ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ حَفَرُوهُ، فَهِيَ الْقِتْلَةُ الظُّلْمَةُ، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ: الْمُقْتُولِينَ، فَـ {قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ} ، لَعْنُ الَّذِينَ خَدَوْا الْأُخْدُودَ. (٢١٥)

قال ابن عباس: كل شي في القرآن قُتِلَ فَهُوَ لَعْنٌ. (٢١٦)

وَالْأُخْدُودُ: الشَّقُّ الْعَظِيمُ الْمُسْتَطِيلُ فِي الْأَرْضِ كَالْخَنْدَقِ، وَجَمْعُهُ أَخَادِيدُ.

(النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ) النَّارِ بَدَلٌ مِنَ الْأُخْدُودِ بَدَلِ الْإِشْتِمَالِ. وَالْوُقُودُ بَفَتْحِ الْوَاوِ قِرَاءَةٌ الْعَامَّةُ وَهُوَ الْحَطَبُ.

(إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ) أَيِ الَّذِينَ خَدَّوْا الْأَخَادِيدَ وَقَعَدُوا عَلَيْهَا يُلْقَوْنَ فِيهَا الْمُؤْمِنِينَ، وَكَانُوا بِنَجْرَانَ فِي الْفَتْرَةِ بَيْنَ عَيْسَى وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ دُعَاءٌ عَلَى هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ بِالْإِبْعَادِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى: وَقِيلَ: مَعْنَاهُ الْإِخْبَارُ عَنْ قَتْلِ أَوْلِيكَ الْمُؤْمِنِينَ، أَيِ إِنَّهُمْ قُتِلُوا بِالنَّارِ فَصَبَرُوا: وَقِيلَ: هُوَ إِخْبَارٌ عَنْ أَوْلِيكَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ رُوِيَ أَنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَ الَّذِينَ أُقْوُوا فِي الْأُخْدُودِ قَبْلَ أَنْ يَصِلُوا إِلَى النَّارِ، وَخَرَجَتْ نَارٌ مِنَ الْأُخْدُودِ فَأَحْرَقَتْ الَّذِينَ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ: إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ نَجَّوْا، وَأَحْرَقَتْ النَّارُ الَّذِينَ قَعَدُوا، ذَكَرَهُ النَّحَّاسُ. (٢١٧)

قَالَ عُلَمَاؤُنَا: أَعْلَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، مَا كَانَ يَلْقَاهُ مَنْ وَحَدَّ قَبْلَهُمْ مِنْ الشَّدَائِدِ، يُؤْنِسُهُمْ بِذَلِكَ. وَذَكَرَ لَهُمُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قِصَّةَ الْغُلَامِ لِيَصْبِرُوا عَلَى مَا يَلْقَوْنَ مِنَ الْأَذَى وَالْأَلَامِ، وَالْمَشَقَّاتِ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا، لِيَتَأَسَّوْا بِمِثْلِ هَذَا الْغُلَامِ، فِي صَبْرِهِ وَتَصَلُّبِهِ فِي الْحَقِّ وَتَمَسُّكِهِ بِهِ، وَبَذَلِهِ نَفْسَهُ فِي حَقِّ إِظْهَارِ دَعْوَتِهِ، وَدُخُولِ النَّاسِ فِي الدِّينِ مَعَ صِغَرِ سِنِّهِ وَعَظَمِ صَبْرِهِ. وَكَذَلِكَ الرَّاهِبُ صَبَرَ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالْحَقِّ حَتَّى نَشِرَ بِالْمِنْشَارِ. وَكَذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَمَّا آمَنُوا بِاللَّهِ تَعَالَى وَرَسَخَ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ، صَبَرُوا عَلَى الطَّرْحِ فِي النَّارِ وَلَمْ يَرْجِعُوا فِي دِينِهِمْ.

وَقَالَ عُلَمَاؤُنَا: وَلَقَدْ امْتَحَنَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالْقَتْلِ وَالصَّلْبِ وَالتَّعْذِيبِ الشَّدِيدِ، فَصَبَرُوا وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَيَكْفِيكَ قِصَّةُ عَاصِمٍ وَخَبِيبٍ وَأَصْحَابَيْهِمَا وَمَا لَقُوا مِنَ الْحُرُوبِ وَالْمِحَنِ وَالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَالْحَرْقِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. (٤١٨)

تعليق مختصر على القصة

يخبر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن رجلاً من الملوك فيمن سبق كان عنده ساحر اتخذته الملك بطانة. هذا الساحر لما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إلي غلاماً أعلمه السحر. فبعث الملك إليه غلاماً، فعلمه ما علمه من السحر.

يستفاد من هذا:

أ- أَنَّ السَّحْرَ بِالتَّعْلَمِ كَمَا جَاءَ فِي قِصَّةِ الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ، هَارُوتَ وَمَارُوتَ يُعَلِّمَانِ النَّاسَ السَّحْرَ.

ولكن الله تعالى قد أراد بهذا الغلام خيراً حيث مر هذا الغلام يوماً من الأيام براهب، فسمع منه فأعجبه كلامه، فصار هذا الغلام إذا خرج من أهله جلس عند الراهب فتأخر على الساحر، فجعل الساحر يضربه، لماذا تتأخر؟ فشكا الغلام إلي الراهب أمراً يتخلص به، قال: إذا ذهبت إلي الساحر وخشيت أن يعاقبك فقل حبسني أهلي وإذا ذهبت إلي أهلك فقل حبسني الساحر.

وكان الراهب- والله أعلم- أمره بذلك- مع أنه كذب - لعله رأى أن المصلحة في هذا تربو على مفسدة الكذب.

ففعل، فصار الغلام يأتي إلي الراهب ويسمع منه، ثم يذهب إلي الساحر فمر ذات يوم بدابة عظيمة، ولم يعين في الحديث ما هذه الدابة، قد حسبت الناس عن التجاوز، فلا يستطيعون أن يتجاوزها، فأراد هذا الغلام أن يعلم: هل أمر الراهب خير له أم أمر الساحر؟، فأخذ حجراً، ودعا الله سبحانه وتعالى إن كان أمر الراهب خير له أن يقتل هذه الدابة، فرمى بالحجر، فقتل الدابة، فمشي الناس.

وكان من كرامات هذا الغلام أنه يبرئ الأكمة والأبرص، يعني أنه يدعو لهم فيبرأون، وهذا من كرامات الله له.

يستفاد من هذا:

أ- أَنَّهُ كَانَ أَمِيلَ بِقَلْبِهِ إِلَى أَمْرِ الرَّاهِبِ، إِذْ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ، فَسَأَلَ عَنْ أَمْرِ الرَّاهِبِ وَلَمْ يَسَلْ عَنْ أَمْرِ السَّاحِرِ.

ب- إِجْرَاءُ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ عَلَى أَيْدِي دُعَاةِ الْخَيْرِ، لِبَيَانِ الْحَقِّ، وَالتَّثْبِيثِ فِي الْأَمْرِ. ثم أخبر الراهب هذا الغلام فقال له أَيُّ بُنَيِّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى يعني سيكون له محنة واختبار، وطلب منه أن لا يخبر به إن هو ابتلي بشيء.

يستفاد من هذا :

أ- اعْتِرَافُ الْعَالِمِ بِالْفَضْلِ لِمَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ، كَاعْتِرَافِ الرَّاهِبِ لِلْغُلَامِ.

ب- ابْتِنَاءُ الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ وَوَجُوبُ الصَّبْرِ عَلَى ذَلِكَ، وَتَفَاوُتُ دَرَجَاتِ النَّاسِ فِي ذَلِكَ.

وكان للملك جليس أعمى فسمع بأمر هذا الغلام فأتي بهدايا كثيرة لهذا الغلام، وقال له لك ما هنا أجمع- أي كله- إن أنت شفيتني، فقال، إنما يشفيك الله.

فانظر إلي الإيمان! وأنه لم يغتر بنفسه وادعي أنه هو الذي يشفي المرضي، بل قال: إنما يشفيك الله عز وجل.

فقال له الغلام فإن أنت آمنت دعوت الله لك فأمن الرجل، فدعا الغلام ربه أن يشفيه، فشفاه الله، فاصبح مبصراً.

يستفاد من هذا :

أ- أن أهل العلم والإيمان لا ينسبون نعمة الله إليهم، وإنما ينسبونها إلي منعمها وهو الله عز وجل.

ب- رَفُضَ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ النَّاجِرَ عَلَى عَمَلِهِ وَهَدَايَتِهِ: قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ {الأنعام: ٩}.

فجاء هذا الجليس إلي الملك وجلس عنده على العادة، فسأله الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي. قال: ولك رب غيري؟ قال: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيُّ بَنِيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَأَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، وكان الراهب قد قال له: إنك ستبتلي، فإن ابتليت فلا تخبر عني. ولكن لعله عجز عن الصبر، فأخبر عن الراهب.

وكان هذا الملك الجبار- والعياذ بالله- لما دلوا على الراهب، جئ بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك ولكنه أبي أن يرجع عن دينه.

فأتوا بالمنشار فشدبوه من مفرق رأسه- من نصف الجسم- فبدأوا بالرأس، ثم الرقبة، ثم الظهر حتى انقسم قسمين - شقين: سقط شق هنا وشق هنا- ولكنه لم يثته ذلك عن دينه. أبي أن يرجع، ورضي أن يقتل هذه الفتلة ولا يرجع عن دينه- ما شاء الله-!! ثم جئ بالرجل الأعمى الذي كان

جليساً عند الملك وآمن بالله، وكفر بالملك، فدعي أن يرجع عن دينه فأبي، ففعل به كما فعل بالراهب، ولم يرده ذلك عن دينه. وهذا يدل على أن الإنسان يجب عليه أن يصبر.

يستفاد من هذا:

أ- اللُّجُوءُ إِلَى الْعُنْفِ وَالْبَطْشِ عِنْدَ الْعَجْزِ عَنِ الْإِقْنَاعِ وَالْإِفْهَامِ أُسْلُوبُ الْجَهْلَةِ وَالْجَبَابِرَةِ.

ب- مُنْتَهَى الْقَسْوَةِ وَالْعِلْظَةِ فِي نَشْرِ الْإِنْسَانِ، بِدُونِ هَوَادَةٍ.

ج- مُنْتَهَى الصَّبْرِ وَعَدَمِ الرُّجُوعِ عَنِ الدِّينِ، وَهَكَذَا كَانَ فِي الْأَمَمِ الْأُولَى، وَبَيَانُ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ، إِذْ جَازَ لَهَا التَّلَفُّظُ بِمَا يُخَالِفُ عَقِيدَتَهَا وَقَلْبُهَا مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ.

لما قتل الملك الراهب، وقتل جليسه، جئ بالغلام فطلب منه أن يرجع عن دينه إلي دين الملك، ودين الملك دين شرك؛ لأنه- والعياذ بالله - يدعو الناس إلي عبادته وتأليهه.

فأبي الغلام أن يرجع عن دينه، فدفعه الملك إلي نفر من أصحابه. - أي جماعة من الناس- وقال لهم: اذهبوا به إلي جبل كذا وكذا، جبل معروف عندهم شاهق ، وقال لهم إذا بلغوا ذروته: فاطرحوه، يعني علي الأرض، فيموت، بعد أن تعرضوا عليه أن يرجع عن دينه، فإن رجع وإلا فاطرحوه.

فلما بلغوا به قمة الجبل طلبوا منه ان يرجع عن دينه فأبي؛ لأن الإيمان قد وقر في قلبه، ولا يمكن أن يتحول أو يتزحزح، فلما هموا أن يطرحوه قال: ((اللهم اكفنيهم بما شئت)) .

دعوة مضطر مؤمن: ((اللهم اكفنيهم بما شئت)) أي: بالذي تشاء، ولم يعين. فرجف الله بهم الجبل فسقطوا وهلكوا، وجاء الغلام إلي الملك فقال: ما الذي جاء بك؟ أين أصحابك؟ فقال: قد كفانيهم الله عز وجل.

ثم دفعه إلي جماعة آخرين، وأمرهم أن يركبوا البحر في قرقور- أي سفينة- فإذا بلغوا لجة البحر عرضوا عليه أن يرجع عن دينه، فإن لم يفعل رموه في البحر. فلما توسطوا من البحر عرضوا عليه أن يرجع عن دينه فقال: لا ((اللهم اكفنيهم بما شئت)) فانقلبت السفينة وغرقوا وأنجاه الله. ثم جاء إلي الملك فقال له: أين أصحابك؟ فأخبره بالخبر.

ثم قال له: إنك لست قاتلي حتى تفعل ما أمرك به! قال: وما هو؟ قال تجمع الناس في صعيد واحد، كل أهل البلد تجمعهم في مكان واحد، ثم تصلبني على جذع، ثم تأخذ سهماً من كنانتي فتضعه في كبد القوس، ثم ترميني به وتقول: بسم الله رب الغلام، فإنك إن فعلت ذلك قتلتي!

فجمع الملك الناس في صعيد واحد، وصلب الغلام، وأخذ سهماً من كنانته فوضعها في كبد القوس، ثم رماه وقال: بسم الله رب الغلام، ثم رماه فأصابه السهم من صدغه، فوضع يده عليه ومات، فاصبح الناس يقولون: بسم الله رب الغلام. وآمنوا بالله وكفروا بالملك. وهذا هو الذي كان يريد هذا الغلام. (١٩٧)

يستفاد من هذا:

أ : إجابة دعوة الغلام ونصرة الله لعباده المؤمنين: اللهم اكفنيهم بما شئت.

ب : التضحية بالنفس في سبيل نشر الدعوة، حيث دل الغلام الملك على الطريقة التي يتمكن الغلام بها من إقناع الناس بالإيمان بالله، ولو كان الوصول لذلك على حياته هو. (٢٠٦)

ج : قوة إيمان هذا الغلام، وأنه لم يتزحزح عن إيمانه ولم يتحول. (٢٠٦)

والحمد لله رب العالمين

(١] (الأكمه) الذي خلق أعمى

(٢] (بالمشار) مهموز في رواية الأكثرين، ويجوز تخفيف الهمزة بقلبها ياء وروى المنشار بالنون وهما لغتان.

(٣] (قرقور) السفينة الصغيرة وقيل الكبيرة واختار القاضي الصغيرة بعد حكايته خلافا كثيرا.

(٤] (صعيد) الصعيد هنا الأرض البارزة.

(٥] (كبد القوس) مقبضها عند الرمي.

(٦] (نزل بك حذرك) أي ما كنت تحذر وتخاف.

(٧] (بالأخدود) الأخدود هو الشق العظيم في الأرض وجمعه أخاديد.

[٨] (أضرمّت النار: إذا أوقدتها وأثرتّها .

[٩] صحيح مسلم (٣٠٠٥).

[١٠] إسناده حسن أخرجه أحمد في مسنده (٣٨٢ / ٦) ، وابن ماجه (١٥٠)، والشاشي (٦٤١) .

[١١] صحيح أخرجه لوين في " أحاديثه " (٢٥ / ٢) وابن عساكر (٨ / ١٩٤ - ١٩٥) في تاريخه والضياء في

" الأحاديث المختارة " (١٦ / ١) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١ / ١٠٩)

[١٢] صحيح أخرجه أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة (٢ / ٨٢٨)، وابن حبان في صحيحه (١٥ / ٥٥٨) برقم

٧٠٨٢ وانظر التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١٠ / ١٧٣)، (تخريج فقه السيرة) (ص ١٦٦) للألباني.

[١٣] صحيح مسلم (٤ / ١٩٤٧)

[١٤] سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٢ / ١٧، ١٨)

[١٥] تفسير ابن كثير (٨ / ٣٦٦)

[١٦] تفسير القرطبي (١٩ / ٢٨٦)

[١٧] تفسير القرطبي (١٩ / ٢٩٤).

[١٨] تفسير القرطبي (١٩ / ٢٩٣).

[١٩] شرح رياض الصالحين (١ / ٢١٣ : ٢٢١) لابن عثيمين.

[٢٠] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٨ / ٤٨٣)

[٢١] شرح رياض الصالحين (١ / ٢١٣ : ٢٢١).